الملتقى الدولي الموسوم بـ:

تحليل الخطاب بين المقاربات اللسانية والأدبية

"الإجراءات– الحدود– التقاطعات"

من تنظيم: كلية الآداب واللغات، جامعة الوادي

المنعقد بـ: جامعة الوادي، الجزائر في: 13– 14 فيفري 2024

.....

عنوان المداخلة:

السلالم الحجاجية
في خطابات الشيخ محمد العيد التجاني

إعـــــــداد:

د. أمينـــــة تجـــــاني

أستاذة بقسم اللغة والأدب العربي

كلية الآداب واللغات

جامعة الوادي

الملخص:

نهدف من خلال هذه الدّراسة إلى الكشف عن حجاجية خطابات الشيخ محمد العيد التجاني، ودورها في إقناع المتلقي والتّأثير فيه ومن ثمّة تغيير فكره أو سلوكه، وذلك من خلال دراسة البنية اللغويّة للخطابات وبالتّحديد السلالم الحجاجيّة باعتبار أنّ اللغة تحمل وظيفة حجاجيّة بصفة جوهريّة بين طيّاتها؛ تتجلى في كلماتها وعباراتها وتراكيبها.

مقدمة:

أصبحنا اليوم في حاجة ماسّة إلى الحجاج، وخاصّة مع التطوّر المستمرّ للحياة اليوميّة وما يطرأ عليه من مستجدّات في كل مرّة، سواء على الصّعيد السياسيّ أو الاجتماعي أو الاقتصادي أو الديني... وذلك في ظل التّعدد والانفتاح الذي آمنت به بعض النّظم السّياسيّة الدّيمقراطيّة وجسّدته على أرض الواقع، فأتاحت الفرصة للجميع للتّعبير عن آرائهم وأفكارهم وإقناع الآخرين بها.

فأصبح النّقاش سمة العصر بين العامّة والخاصّة حول البرامج والمذاهب والاختيارات، وما أذكى هذه النقاشات وزاد حدّتها إلى درجة التّنافس في الإقناع والتّأثير؛ وسائل الإعلام المختلفة، والتي شهدت تطوّرا هائلا مع ثورة الاتّصال السّمعي البصري، حيث أصبح العالم يعيش في عصر سمته التّواصل، وبالأساس التّواصل الحجاجي الذي يسعى فيه الفرد إلى إقناع غيره بوجهة نظره، واستمالته إلى جانبه.

لهذا لم يبق مصطلح الحجاج محصورا في استعمالات خطابيّة ظرفيّة، بل صار بعدا ملازما لكل خطاب على وجه الإطلاق، والسّبب في ذلك أن كل خطاب حالّ في اللغة تمنحه هذه الأخيرة العناصر الأوّليّة والقاعديّة لكل حجاج؛ عناصر الاستدلال والتّدليل.

إشكالية الدراسة:

إن اللغة حجاجيّة بالدّرجة الأولى؛ فكل قول هو في الحقيقة حجاج كما يقول (ديكرو)، لأنّنا لا نتكلّم عبثا وإنّما لقصد ومرمى نسعى إليه. فهي تحمل وظيفة حجاجية في طيّاتها، تتجلى في بنية الأقوال وتسلسلها وتواليها داخل الخطاب بصورة استنتاجية.

بمعنى أنّها لم تعد وسيلة تواصل وإبلاغ، أو جمال وإمتاع، بل أصبح ينظر إليها على أنّها وسيلة تأثير وإقناع، فمن خلالها يؤثّر المتكلم في مخاطَبه ويحصل على قبوله لنتيجة ما، وذلك بتقديمه لسبب يجعل هذه النّتيجة مقبولة، بحيث تتسلسل الأقوال وتتوالى داخل الخطاب بصورة استنتاجيّة فتكون بعضها بمثابة الحجج اللغويّة وبعضها الآخر هو بمثابة النّتائج التي تستنتج منها، لأنّ المرسل لا يتكلّم عبثا وإنّما لقصد ونتيجة يسعى إليها.

والشيخ محمد العيد التجاني من خلال خطاباته توسّل اللغة للتّأثير في المتلقي وإقناعه بما يرمي إليه من نتائج، فكانت كلماته هي وسيلته في التّأثير في المستمع لتغيير فكره وسلوكه، باعتبار أنّ اللغة هي الأداة الأولى في تغيير العالم وتحوير السّلوك البشري.

من هذا المنطلق أردنا البحث في هندسة اللغة وبناء الخطاب في خطابات الشيخ لأنّ "الوصول إلى سبر الأبنية اللغويّة وما فيها من إمكانات حجاجيّة، والبحث فيما تتكهّن به من علاقات خطابيّة ممكنة وما تمنحه من ترابطات كفيلان ببيان صيغ التّرابط التي تفرضها التّوجيهات المسجّلة في البنية اللغويّة وبناء دلالة الخطاب المثالي أي قواعد الخطاب الدّاخليّة التي تسيّر صيغ ترابطه"[1].

وبناء على ما تقدّم فإن هذه الدّراسة تهدف إلى سبر أغوار خطابات الشيخ في محاولة لاستكناه دلالاتها واستنطاق بنياتها اللغوية بمقاربة حجاجيّة تكشف عن دورها في الإقناع والتّأثير.

أسئلة الدراسة:

نطرح من خلال الدراسة الإشكالية الرئيسة الآتية:

ما مدى حجاجية خطابات الشيخ محمد العيد التجاني من خلال السلالم الحجاجية؟

وتتفرع عنها تساؤلات جزئية، أهمها:

- ما المقصود بالحجاج والسلالم الحجاجية؟
- من هو الشيخ محمد العيد التجاني؟ وما أبرز خطاباته؟
- أين تكمن حجاجيّة خطابات الشيخ محمد العيد التجاني؟
- ما مدى تأثير خطابات الشيخ محمد العيد التجاني في المتلقي وأثرها في تغيير فكره وسلوكه؟

إجراءات الدراسة:

للإجابة عن الإشكاليّة الرئيسة وما اندرج تحتها من تساؤلات فرعية، جاءت محاور الدراسة كالآتي:

المحور الأول: "الحجاج والسلم الحجاجي" ويضم تعريف الحجاج والسلم الحجاجي، وقوانين السلالم الحجاجية.

المحور الثاني: "الشيخ محمد العيد التجاني" ويتناول التعريف بالشيخ وخطاباته.

المحور الثالث: ""السلالم الحجاجية في خطابات الشيخ" وهو محور تطبيقي يُبيّن حجاجية اللغة في خطاب الشيخ من خلال السلالم الحجاجية.

---

[1] شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود، كلية الآداب، منوبة، تونس، دط، دت، ص362.

أوّلا: الحجاج والسلم الحجاجي

تندرج السّلالم الحجاجيّة ضمن نظرية الحجاج اللغوي أو اللساني التي وضعها كل من (أنسكومبر وديكرو)، والتي تهدف إلى الكشف عن الوظيفة الحجاجية للغة انطلاقا من فرضية محورية ألا وهي: "أننا نتكلم عامة بقصد التّأثير". فاللغة تحمل وظيفة حجاجية في طياتها، وبصفة ذاتية وجوهرية تتجلى في بنية الأقوال ذاتها، صوتيا، وصرفيا، وتركيبيا، ودلاليا. فالحجاج موجود في كل خطاب.

1- مفهوم الحجاج

أ- لغة: يشير ابن منظور في معجمه لسان العرب إلى الحجاج بقوله: "الحُجَّة هي البرهان وقيل الحُجَّة هي ما دوفع به الخصم ... وحَاجَّهُ مَحَاجَّة وحِجَاجًا نازعه الحجّة ... وجمع الحُجَّة: حُجَجٌ وحِجَاجٌ، وحَجَّه يَحُجُّه حَجًّا غلبه حجّته وفي الحديث: فحجّ آدم موسى أي غلبه بالحجّة"[1].

وليس بعيدا عن هذا المعنى نجد (الرّازي) يقول: "الحجّ في الأصل: القصد ... والحجّة: البرهان، وحاجّه فحجّه من باب ردّه، أي غلبه بالحجّة، وفي المثل: لجّ فحجّ، فهو رجل مِحْجاج بالكسر أي جدل، والتّحاجّ: التّخاصم. والمِحَجَّة بفتحتين: جادّة الطريق"[2].

إن الحجاج في اللغة -حسب المعجمين السابقين- هو تحاور مع الآخر سواء أكان هناك اختلاف في الرّأي أم لا، ومحاولة إقناعه والتّأثير فيه بالحجّة الدّامغة. فهو يقوم "على أساس التخاطب بين المتكلم والمستمع اللذين يفترض فيهما أن يتحاجّا في أمر يستلزم دليلا أو حجّة له أو عليه"[3].

ب- اصطلاحا:

يعدّ الحجاج مفهوما عائما ويتميّز بالانسيابيّة، حيث نجد تباينا واضحا في تعريفاته بين العلماء وذلك راجع لزاوية النّظر ونوعيّة الخطاب (قانوني، سياسي، أدبي، علمي ...)، فكل واحد قدّم تعريفا حسب منظوره المعرفي ومرجعيّته الفكريّة. ولكن في خضمّ هذا التّعدّد الدّلالي للحجاج واستعمالاته، يمكن تقديم تعريف جامع له؛ ففي المعجم الفلسفي "الحجاج هو جملة من الحجج التي يؤتى بها للبرهان على رأي أو

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، م2، ص 28، مادة (حجج).

[2] محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، مادة (ح ج ج)، عني بترتيبه: محمود خاطر بك، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، طبعة 1981.

[3] رضوان الرقبي، الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، مجلة عالم الفكر، ع2، م40، أكتوبر، ديسمبر، 2011، ص 71.

إبطاله، أو هو طريقة تقديم الحجج والاستفادة منها"[1]. وفي موسوعة لالاند "الحجاج هو طريقة عرض الحجج وترتيبها"[2] .

فالحجاج هو تقديم الحجج والأدلة والبراهين من أجل إثبات فكرة ما أو دحضها، كما أنه ترتيب الحجج بطريقة منطقية تسهم في إقناع المتلقي وإذعان الخصم.

2- مفهوم السلم الحجاجي:

يعرفه طه عبد الرحمن بأنّه عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال مزوّدة بعلاقة ترتيبيّة وموفية بالشّرطين التّاليين[3]:

- كل قول يقع في مرتبة ما من السّلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطّرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه.

- كل قول كان في السّلّم دليلا على مدلول معيّن، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه". ويمكن أن نرمز له بالشّكل التالي:

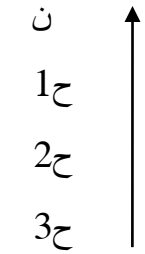

تمثّل ح1 وح2 وح3 حججا متدرّجة بشكل تصاعدي خدمة للنّتيجة المقصودة (ن).

إذًا السلم الحجاجي هو "علاقة تراتبيّة للحجج تحدّد بموجبها مراتب القولات ودرجاتها، باعتبار وجهتها وقوّتها الحجاجيّتين"[4]، مع وجود تلازم بين الحجّة (ح) والنّتيجة (ن) وهذا "التّلازم لا يتحقّق إلا بإضافة الحجّة إلى نتيجتها، والتي قد يكون مصرّحا بها أو مضمرة"[5].

وكمثال على ذلك: الجوّ بارد.

هذا القول يمثل حجّة لنتيجة مضمرة وهي لبس المعطف أو إغلاق الباب...

---

[1] جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، دط، 1994، ج1، ص 446.

[2] أندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفيّة، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط2، 2001، المجلد1، A- G، ص93.

[3] ينظر: طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص277.

[4] رضوان الرقبي، الاستدلال الحجاجي التداولي، ص96.

[5] المرجع نفسه، ص93.

وعلى هذا الأساس "فعندما تقوم بين الحجج المنتمية إلى فئة حجاجيّة ما علاقة ترتيبيّة معيّنة، فإنّ هذه الحجج تنتمي إذّاك إلى نفس السّلم الحجاجي، فالسلم الحجاجي هو فئة حجاجيّة موجّهة"[1] تفرض على المخاطَب نمطا معيّنا من النّتائج باعتباره الاتّجاه الوحيد الذي يمكن أن يسير فيه الحوار. والقيمة الحجاجيّة لقول ما هي نوع من الإلزام يتعلق بالطريقة التي ينبغي أن يسلكها الخطاب بخصوص تناميه واستمراره [2].

ولتوضيح ذلك ندرج هذا المثال:

- حصل أحمد على شهادة الليسانس
- حصل أحمد على شهادة الماستر
- حصل أحمد على شهادة الدكتوراه

فهذه الجمل تتضمّن حججا تنتمي إلى نفس الفئة الحجاجيّة، وإلى نفس السّلّم الحجاجي أيضا؛ إذ تؤدّي كلّها إلى نتيجة مضمرة تتجلّى في "تفوّق أحمد" أو "مرتبته العلميّة". وعند تمثيل السّلّم الحجاجي ستكون الحجّة الأقوى في أعلى السّلم، وذلك كما يبيّنه الرّسم الآتي:

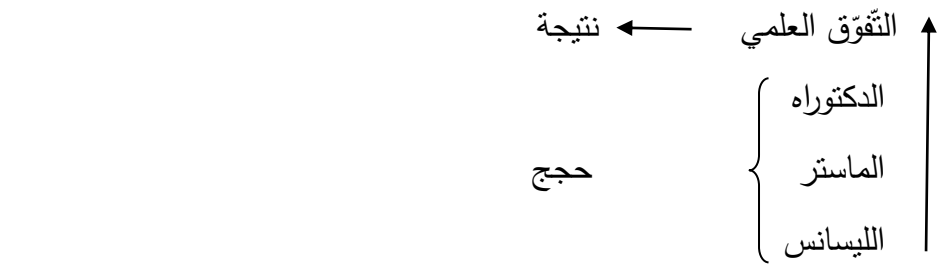

بناء على ما سبق فإنّ المخاطِب الذي يرمي إلى إقناع مخاطَبه بأمر معيّن أو التّأثير فيه، "فإنّه لا محالة يوظّف فئة حجاجيّة؛ تكون بمنزلة دعامة استدلاليّة لغرضه الذي من أجله كانت العمليّة التّخاطبيّة. وهذه الحجج التي يوردها لن تكون على درجة واحدة، بل تختلف وتتفاوت فيما بينها وفق القوّة والضّعف"[3].

3- قوانين السلم الحجاجي:

تتحكّم في السلم الحجاجي ثلاثة قوانين هي: قانون الخفض وقانون القلب وقانون التّبديل.

أ- قانون النّفي:

[1] O Ducrot, Les échelles argumentatives, Minuit, Paris, 1980, p18.
[2] O Ducrot, Dire et ne pas dire, Hermann, Paris, 1980, p286.
[3] رضوان الرقبي، الاستدلال الحجاجي التداولي، ص95.

"إذا كان قول ما (أ) مستخدما من قبل متكلم ما ليخدم نتيجة معيّنة، فإنّ نفيه (أي ~ أ) سيكون حجّة لصالح النّتيجة المضادّة"[1]. وهو يماثل ما يسمّيه (طه عبد الرحمن) قانون التّبديل، ومفاده "أنّه إذا كان القول دليلا على مدلول معيّن، فإنّ نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله"[2].

وكمثال على ذلك:

- أحمد طالب متفوّق، لقد نال جائزة.
- أحمد ليس طالبا متفوّقا، أحمد لم ينل جائزة.

إنّ قبولنا الحجاج الوارد في المثال الأوّل، يحتّم علينا قبول الحجاج الوارد في المثال الثاني أيضا.

ب- قانون القلب:

ومقتضى هذا القانون "أنّ السّلم الحجاجي للأقوال المنفيّة هو عكس سلّم الأقوال الإثباتيّة. وبعبارة أخرى، إذا كان (أ) أقوى من (أَ) بالقياس إلى النّتيجة (ن)، فإنّ (~ أ) هو أقوى من (~ أَ) بالقياس إلى (لا – ن). ويمكن التّعبير عن هذه الفكرة بصيغة أخرى فنقول: إذا كانت إحدى الحجّتين أقوى من الأخرى في التّدليل على نتيجة معيّنة، فإنّ نقيض الحجّة الثّانية أقوى من نقيض الحجّة الأولى في التّدليل على النّتيجة المضادّة"[3].

ويمكن تمثيلها كالآتي:

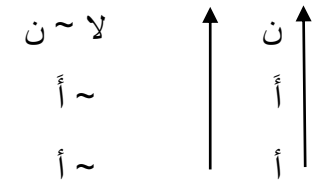

ويمكن توضيح الأمر أكثر بالمثالين الآتيين:

- حصل أحمد على شهادة الدكتوراه، وحتى شهادة الماستر.
- لم يحصل أحمد على شهادة الماستر، ولم يحصل على شهادة الدّكتوراه.

إنّ حصول أحمد على شهادة الدكتوراه تمثّل الحجّة الأقوى على كفاءته العلميّة من حجّة حصوله على الماستر، في حين أنّ النّقيض؛ عدم حصوله على الماستر تمثّل دليلا أقوى على عدم كفاءته العلميّة من عدم حصوله على الدّكتوراه.

---

[1] O. Ducrot, Les échelles argumentatives, p27.

[2] طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص 278.

[3] O. Ducrot, Les échelles argumentatives, p27.

وإذا انتقلنا إلى قصص الحديث النّبوي فإنّنا نجد منها ما ورد فيها السّلّم الحجاجي ونقيضه في نفس القصّة، ومنها ما ورد سلّما واحدا فقط، ومن النّوع الثّاني ندرج هذه القصّة:

ج- قانون الخفض:

والمقصود به "أنّه إذا صدق القول في مراتب معيّنة من السّلم، فإنّ نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها"[1]. فترتيب الحجج يمكن "أن يعدّل ويتغيّر من لحظة لأخرى بتدخّل عوامل معيّنة، ذلك أنّ إضافة حجّة جديدة إلى مجموعة من الحجج يمكن أن تغيّر من مدلولها. وبالتّالي من قوّتها"[2]. وكمثال على ذلك:

- الجوّ ليس باردا.

في هذا المثال قد يكون الجوّ دافئا أو حارّا، لهذا تستبعد التّأويلات التي ترى أنّ البرد قارس وشديد، وتتجلّى صعوبة صياغة هذه الوقائع في أنّ الخفض الذي ينتج عن النّفي لا يتموقع في السّلم الحجاجي، فلا تندرج الأقوال الإثباتيّة من نمط: (الجوّ بارد) والأقوال المنفيّة من نمط: (ليس الجوّ باردا) في الفئة الحجاجيّة نفسها ولا في السّلم الحجاجي نفسه[3].

ثانيا: الشيخ محمد العيد التجاني وخطاباته[4]

1- نسبه ونشأته:

هو الشّيخ محمد العيد بن الخليفة الشّيخ محمد البشير الثّاني بن الخليفة الشيخ محمد العيد الثّاني بن الخليفة الشّيخ محمد البشير الأوّل بن الخليفة الشّيخ محمد حمه بن الخليفة الشّيخ محمد العيد الأوّل نجل الإمام التّماسيني؛ الشيخ الحاج علي بن الحاج عيسى. ولد يوم الجمعة 04 رمضان 1373هـ الموافق لـ 07 ماي 1954م ببلدة تماسين، ولاية تقرت، الجزائر.

2- تعليمه:

حفظ الشّيخ محمد العيد التّجّاني القرآن الكريم على يد أئمّة الزّاوية التجانية بتماسين، وتعلّم العلوم الشرعيّة على يد أبيه؛ الخليفة الشّيخ محمد البشير التّجّاني. كما تلقّى تعليمه بالمدارس النظامية؛ حيث درس الابتدائي في بلدته تماسين بالمدرسة الابتدائية مولود فرعون، ثم واصل تعليمه الإكمالي بتقّرت، والثّانوي؛ السنة الأولى والثانية ثانوي بثانوية تقرت التي كانت الثانوية الوحيدة في الجنوب الشرقي

---

[1] طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص277.

[2] رضوان الرقبي، الاستدلال الحجاجي التداولي، ص98.

[3] ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص24.

[4] ينظر: أمينة تجاني، الخطاب الصوفي التجديدي عند الشيخ محمد العيد التجاني التماسيني، دار المجدد، سطيف، ط1، 2023، من ص23، إلى ص39.

الجزائري. والسنة الثالثة ثانوي درسها بثانوية حيحي المكي (franco-musulmane)، بقسنطينة، وسبب انتقاله هو اختيار شعبة الرياضيات التي لم تكن موجودة بثانوية تقرت آنذاك؛ إذ لم يكن بها جميع التخصصات، فتحصّل على شهادة البكالوريا سنة 1974م.

ثمّ أكمل دراسته الجامعيّة بجامعة قسنطينة (منتوري حاليا) شعبة علوم دقيقة، فتحصّل على شهادة التعليم العالي في الفيزياء والمواد الصلبة (DES) سنة 1978، ثم شهادة الماجستير تخصّص؛ الفيزياء والمواد الصّلبة من الجامعة نفسها سنة 1981م، ثم شهادة الدّكتوراه في التخصّص نفسه من جامعة باريس 11 مركز أورساي (Paris11 centre Orsay) بفرنسا سنة 1993م.

3- عمله الأكاديمي:

تقلّد الشّيخ محمد العيد التّجّاني عدّة مناصب بجامعة قسنطينة إلى جانب التّعليم والتّأطير البيداغوجي ما بين السّنوات (1979 و2000م)، حيث بدأ مشواره المهني كمساعد في التدريس في مادة الفيزياء في جامعة قسنطينة، ثم أستاذ، ثم مدير للكلية إلى غاية سنة 2000م. حيث ترك الجامعة ليتفرغ للطريقة التجانية، ويبدأ مشواره التّربوي بالزّاوية التّجّانيّة بتماسين خلفا لوالده.

وبالرغم من تركه للجامعة إلا أنه لم يترك مجال العلم والبحث العلمي الذي يعدّ أساس تطوّر المجتمعات، فشارك – وهو شيخ للطّريقة التّجّانيّة- في العديد من الملتقيات والنّدوات العلميّة الوطنيّة والعالميّة، كما نظّم الكثير من الملتقيات بالزّاوية التّجّانيّة بتماسين وقمار وبالتّنسيق مع بعض الجامعات؛ جامعة الوادي وجامعة ورقلة، وذلك ليؤكّد بأنّ الشّيخ المربّي لا بدّ وأن يجمع بين الجانب العلمي والرّوحي والعملي في آن واحد.

4- خلافته للطّريقة التّجّانيّة

تولّى الشّيخ محمد العيد التّجّاني خلافة الطّريقة التّجّانيّة بعد رحيل والده الشّيخ محمد البشير التجاني إلى جوار ربّه؛ يوم الجمعة 1 شوال 1420هـ الموافق لـ 7 جانفي 2000م، فتحمّل الأمانة، وأخذ على عاتقه الأعباء كلّها، وبدأ في التّربية وتوجيه الخلق إلى سبيل الله وطريقه المستقيم بأفعاله قبل أقواله، متّبعا منهج جده؛ الإمام التّماسيني المرتكز على أسس ثلاث؛ العلم والعمل والعبادة.

عمل الشّيخ على تجسيد المنهج الذي يتبنّاه، فنشط في جمع الشّمل وتأليف القلوب وجمع الصّفوف، والدّعوة إلى العلم وإصلاح ذات البين، وتشييد البناء، بالإضافة إلى تفعيل دور الزّاوية التّجّانيّة في هذا العصر.

5- خطابات الشيخ محمد العيد التجاني:

تنوعت خطابات الشيخ محمد العيد التجاني، حيث شملت الجانب الديني، والجانب الروحي الصوفي، وكذلك العلمي والثقافي، الاجتماعي والاقتصادي باعتبار أن الدين ثقافة حياة وليست طقوسا تعبّديّة فقط تقتصر على الجانب العقدي. وقد ألقاها في مناسبات مختلفة؛ ملتقيات وندوات علمية، لقاءات واجتماعات روحية، مشاريع عملية... وقد جمعتها الباحثة في كتاب موسوم بـ "الخطاب الصوفي التجديدي عند الشيخ محمد العيد التجاني التماسيني.

ثالثا: السلالم الحجاجيّة في خطابات الشيخ محمد العيد التجاني

إنّ اللغة ليست أداة للتّعبير عن المشاعر والأحاسيس، وعن الحاجات الخارجيّة فحسب، بل لها وظيفة تتجاوز "كونها وسيلة تواصل إلى وسيلة تأثير في العالم والسّلوك، ويصير الكلام ذا قوّة بلاغيّة كامنة فيه تظهر من خلال الآثار والنّتائج المترتّبة"[1]. فمن خلال اللغة نؤثّر في المتلقي، ونغيّر فكره وسلوكه، وبالتالي نغيّر العالم.

وهذا يعني أنّ "الحديث عن اللغة هو حديث عمّا يملكه الإنسان من تقنيات وأساليب قد تحبّب فيه الآخر، فينجذب إليه بسهولة كبيرة انجذابا يسهل إقناعه، أو قد ينفّره منه بواسطتها فينقلب عليه، ولذلك فاللغة هاهنا هي فن ومهارة، إنّها كما قال (فتجنشتاين) لعبة عجينيّة، الكل يشكلها ويبني حججه بها بحسب رغباته وأهدافه المرسومة سلفا"[2].

إنّ مفاهيم الحجّة والنّتيجة في السلّم الحجاجي اقتصرت في البداية على الأقوال فقط، وهذا ما أكّد عليه (ديكرو) في كتابه (السّلّميّات الحجاجيّة)، إلا أنّها في أعماله الأخيرة تعدّت ذلك فأصبحت الحجّة "عبارة عن عنصر دلالي يقدّمه المتكلم لصالح عنصر دلالي آخر، والحجّة قد ترد في هذا الإطار على شكل قول أو فقرة أو نص، أو قد تكون مشهدا طبيعيّا أو سلوكا غير لفظي إلى غير ذلك"[3].

وخطابات الشيخ محمد العيد التجاني لا تخلو من السّلالم الحجاجية، فهي حاضرة بنسب متفاوتة، وقد وظّفها الشيخ "لفرض نسق من المحاججة يهدف به إلى توجيه مشارِكِه عمليّة التّلفّظ إلى دائرة معيّنة من

---

[1] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2009، ص94.

[2] عبد الجبار أبو بكر، الحجاج الفلسفي وإشكالية المشترك اللفظي، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ج2، ص298.

[3] أبو بكر العزاوي، الحجاج والمعنى الحجاجي، ص 58.

الإقناع قصد الحصول على مقاصده أو تبليغ مبتغاه من الخطاب"[1]. ولتوضيح الأمر أكثر سندرج بعض المقتطفات من خطاباته، ونبيّن السلالم الحجاجيّة المدرجة فيها.

يقول الشيخ في إحدى خطاباته: "**والطّريقة في كنهها ومعناها تربط المريد بمولاه ثمّ بحبيبه ومصطفاه ﷺ وتدعو إلى وحدة الصّفّ، فكلنا أسرة واحدة بل جسد واحد وبناء واحد. إنّنا نعتزّ بهذه الطّريقة التي تدعو إلى: أوّلا: العلم الذي لا سعادة للبشريّة بدونه... فهو ينير دروب البشر ويهدي الحَيَارَى سُبُلَ الرّشاد. ثانيا: العمل الذي يحفظ للفرد كرامته، ويُعْلي هامته، ويجعله عنصرًا مفيدًا في المجتمع، وخير النّاس أنفعهم للنّاس. ثالثا: العبادة لأنّ فيها ارتباط العباد بخالقهم، وما أعظم أن يستجيب العبد لمولاه طاعةً وانقيادًا حمدًا وشكرًا لله!**"[2].

إنّ المتأمّل لهذا الخطاب يجده متضمنا لثلاثة سلالم حجاجيّة جزئيّة، هي كالآتي:

السلم الأول:

- **النّتيجة:** السعادة
- **الحجّة:** طلب العلم

السلم الثاني:

- **النّتيجة:** حفظ الكرامة
- **الحجّة:** العمل

السلم الثالث:

- **النّتيجة:** طاعة الله
- **الحجّة:** العبادة

تتضافر هذه السلالم الجزئية لتخدم نتيجة واحدة تمثّل غاية الشيخ ومسعاه؛ ربط العبد بالله تعالى، وهذا يدفعنا إلى تمثيل السلم الحجاجي العام الذي يبيّن ذلك:

ربط العبد بمولاه –عز وجل–..... ن

- العبادة
- العمل
- العلم

حجج

[1] خليفة الميساوي، الوصائل الحجاجية في المقاربات اللسانية الغربية، كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ج1، ص501.

[2] أمينة تجاني، الخطاب الصوفي التجديدي، ص306.

من خلال هذا السلم يتضح أن الشيخ محمد العيد التجاني يتبنّى مبدأ القوّة الحجاجيّة، والتي تعني أن "الحجج لا تتساوى ولكنّها تترتّب في درجات قوّة وضعفا، ومأتى هذا التّرتيب هو أنّ الظّواهر الحجاجيّة تتطلّب دوما وجود طرف آخر تقيم معه علاقة استلزام"[1]. ومقتضى هذا المبدأ أنّ قيمة الملفوظ تتحدّد من خلال العلاقة التي يقيمها مع طبقة أخرى من الملفوظات التي تشترك معه في الانتماء إلى السلّم الحجاجي نفسه، حيث يتضمّن كل ملفوظ خاصّيّة تجعله يحتل رتبة معيّنة من هذا السّلّم.

وهذا يعني أن الخطاب يتضمّن مجموعة من الحجج التي وُظّفت عن قصد لوصف الفعل الذي يستلزم النّتيجة؛ ربط العبد بربّه. وهذه الأفعال بالتّرتيب، هي؛ العلم، العمل، العبادة. وهي لبّ الدّين الإسلامي، وأساس طاعة الله تعالى، وتمكين دينه في الأرض.

وذلك لكون **العلم** هو المرتكز الأساسي لنهضة الأمّة وتنويرها، **والعمل** هو المرتكز الأساسي للتّنمية بكلّ أبعادها الاقتصاديّة والاجتماعيّة والسّياسيّة والثّقافيّة والمادّيّة والحضاريّة، **والعبادة** هي المرتكز الأساسي لتفعيل القيم الرّوحيّة والأخلاق المحمّديّة في كلّ مجالات الحياة، وممارستها ممارسة حقيقية في الواقع؛ فإتقان العمل عبادة، وطلب العلم لخدمة المجتمع وتطوير البلاد عبادة، وحفظ الأمانة عبادة ...

وعليه فالشيخ يهدف إلى إقناع المتلقي بضرورة علو الهمة في طلب العلم، والاجتهاد في العمل، والصدق والإخلاص في العبادة، ثم دفعه للقيام بها حتى يكون عالما، عاملا، عابدا. وبذلك يحصل على النتيجة؛ تعلق العبد بمولاه –عز وجل–، والتي تظهر آثارها من خلال قدرة الفرد (العالم، العامل، العابد) على العمل من أجل تطوير بلاده وتقدّم مجتمعه، والمساهمة في إحياء الأمة الإسلامية.

إن إغراء المتلقي بالنتيجة تجعله يقتنع بالفكرة، ومن ثمة يتبنّاها، فيغيّر سلوكه حسب ما اقتضاه الخطاب، وذلك بالاتصاف بالعلم والعمل والعبادة قدر الاستطاعة، وهذه هي غاية الشيخ ومسعاه من الخطاب، وما يؤكد ذلك قوله: "أدعوكم أيّها الأبناء إلى الجِدِّيَّة في تحصيل العلم والمعارف ورَفْع المستوى الثّقافي، وتذكّروا ثلاثيّة الشيخ الحاج علي التماسيني وهو يدعو إلى العلم والعمل والعبادة؛ فالعلم نور الحياة وعمادها وسبيل ذلك حَصْد الشّهادات العلميّة، والطّريقة التّجّانيّة طريقة العلم والعلماء، ومعراج الطّريقة درجاته العلم والمعرفة، لقوله تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ (فاطر،28)"[2].

وفي خطاب آخر يقول: "**لقد علّمتنا التّجربة أنّ المتفوّقين في المدرسة النّظاميّة هم أولئك الذين مرّوا على المدرسة القرآنيّة فَحَوَتْ صدورهم آياتِ وسُوَرِ القرآن الكريم فشمِلَتْهُمْ بَرَكَتُهُ وهدايته وإرشاده،**

[1] شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، ص364.

[2] أمينة تجاني، الخطاب الصوفي التجديدي، ص310.

فقوَّم ألسنتهم وهذّب سلوكهم ومعاشرتهم ووسّع آفاقهم، فَلْتَكُنْ وِجْهَة أبنائنا الكتاتيب يعمّروها وينهلوا من خيرها"[1].

تتتابع الأقوال في هذا الخطاب بشكل تصاعدي حثيث "في مقدّمات يسلم بعضها إلى بعض كأقيسة المنطق، توصل في سرعة وسلامة إلى النّتيجة، بحيث لا يشعر المخاطَب من سرعة التّتابع والانقياد للمسلّمات بجهد دون غايته "[2]. ويمكن تمثيل السلم الحجاجي كالآتي:

التفوق الدراسي..... ن

حجج

- وسع القرآن آفاق المتعلم
- هذب القرآن سلوك المتعلم
- قوم القرآن لسان المتعلم
- شملت بركة القرآن المتعلم
- حوى القرآن صدر المتعلم

إنّ المخاطِب الذي يرمي إلى إقناع مخاطَبه بأمر معيّن أو التّأثير فيه، "فإنّه لا محالة يوظّف فئة حجاجيّة؛ تكون بمنزلة دعامة استدلاليّة لغرضه الذي من أجله كانت العمليّة التّخاطبيّة. وهذه الحجج التي يوردها لن تكون على درجة واحدة، بل تختلف وتتفاوت فيما بينها وفق القوّة والضّعف"[3].

وهذا ما نجده في هذا الخطاب؛ إذ تتسلسل أقوال الشيخ محمد العيد التجاني وتتتابع بشكل تدريجي من الأضعف إلى الأقوى في ترتيب حجاجي بغية إقناع المتلقي بالقصد المراد؛ حفظ القرآن الكريم، وذلك من أجل تحقيق النّتيجة المرجوّة؛ التفوّق الدراسي الذي يغري المتلقي فيدفعه إلى تبني الفكرة وتغيير سلوكه بحفظه للقرآن الكريم، أو بإرسال أبنائه إلى المدارس القرآنية رغبة في التفوق والتميز.

وهذا مسعى الشيخ، والذي يؤكده قوله: "**فَلْتَكُنْ وِجْهَة أبنائنا الكتاتيب يعمّروها وينهلوا من خيرها**". فالقرآن الكريم يعدّ أوّل المدارس اللغويّة والعلمية التي يغترف منها المتعلم اللغة العربيّة والأدبيّة والعلوم بشتى أنواعها، لقوله تعالى: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾ (النحل،89). وقوله أيضا: ﴿وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾ (يس،11).

---

[1] المرجع السابق، ص314.

[2] كمال عز الدين، الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، ص 253.

[3] رضوان الرقبي، الاستدلال الحجاجي التداولي، ص95.

فهو الأساس وأصل كل تعليم كما يقول ابن خلدون: "إنّ القرآن أصلُ التعليم الذي يَنبَنِي عليه ما يحصل بعدَه من المَلَكَات"[1]. وهو لا يقتصر على المهارات اللغوية الأربعة؛ السماع والتحدث والقراءة والكتابة كما يظن البعض، بل يتعدّاها إلى مهارات التفكير والاستدلال والحفظ والتذكّر وغيرها.

وهذا ما جعل المسلمون في كل زمان ومكان يغترفون من بحره؛ حفظا وترتيلا، فهما وتدبّرا، تعلّما وتعليما ودراسة. ويحرصون على تعليمه لأبنائهم، وفي ذلك يقول ابنُ خلدون في (مقدمته): "اعلمْ أن تعليمَ الولدان للقرآن شعارٌ من شعائر الدِّين، أخذَ به أهلُ الملّةِ ودَرَجوا عليه في جميعِ أمصارِهم، لِمَا يَسبِقُ فيه إلى القلوب من رسوخِ الإيمانِ وعقائِدِه من آيات القرآن، وبعض متون الأحاديث"[2].

فالقرآن الكريم تنمية مستدامة للمسلمين في كل زمان ومكان، وما يدل على ذلك تلك الشخصيات الإسلامية التي تميزت وتفردت على أقرانها، والتي كان منبعها الأول الذي استقت منه العلوم والمعارف والسلوك والأخلاق، والتاريخ الإسلامي يعجّ بذلك سواء أكانوا علماء أم قادة جيوش وفاتحين أم حكاما وسلاطين، وهذا يؤكد لنا النتيجة التي يسعى الشيخ إلى الوصول إليها؛ التفوق العلمي للأبناء والذي يؤدي إلى الإبداع والابتكار، وبالتالي الحصول على شخصيات قائدة في مجالها، قادرة على التغيير كما كان القادة المسلمون سابقا، وهذا ما نحتاجه اليوم بالفعل.

ويقول الشيخ في خطاب آخر: "**وقبل أن أختم هاته الكلمة أعبّر لكم عن عميق سروري للأهمّيّة الكبرى التي أوليتموها للاحتفال السّنوي بذكرى المولد النّبوي الشّريف، لما في ذلك من نشر للسّيرة العطرة، وترسيخا لها بين الأجيال، لربط النّشء بسيّد الوجود ﷺ، وتحصين أبنائنا ضدّ الآفات الاجتماعيّة والتّيّارات الهدّامة، وما تعظيمنا لهذا الشّهر المبارك إلا تعبير عن وفائنا لسيّد الكائنات وخاتم الأنبياء والمرسلين، مُنْقِذُ البشريّة ومُخْرِجُها من الظّلمات إلى النّور**"

يورد الشيخ محمد العيد التجاني في هذا الخطاب حججا متساندة لتخدم نتيجة واحدة؛ ألا وهي؛ تحصين الأبناء من الآفات الاجتماعية والتيارات الهدامة، "فعندما ينتمي معنى جملتين أو أكثر إلى الحقل الاستدلالي الحجاجي نفسه يعني ذلك أنّهما يسعيان إلى نتيجة واحدة"[3]، وحينها تسير الحجج في اتّجاه

---

[1] ابن خلدون، المقدمة، تح: محمد عبد الله درويش، دار البالخي، دمشق، ط1، 2004، ص740.

[2] المرجع نفسه، ص740.

[3] رضوان الرقبي، الاستدلال الحجاجي التداولي، ص97.

حجاجي واحد ولكن تتفاضل فيما بينها قوّة وضعفا فيختار المتكلّم "الدّليل الأنسب، وفي هذه الحالة تتعيّن معنا القوّة الاستدلاليّة المعيّنة"[1]. ويمكن تمثيل السلم كالآتي:

تحصين الأبناء من الآفات الاجتماعية والتيارات الهدامة.... ن

ربط النشء بسيّد الوجود
ترسيخ السيرة المطهرة للأجيال
نشر السيرة النبوية العطرة
الاحتفال بالمولد النبوي الشريف

حجج

إن المتأمل لهذا السّلم الحجاجي يجد أنّ الحجّة الأقوى فيه، هي: ربط النشء بسيد الوجود صلى الله عليه وسلم، وقد رتّبها الشيخ في أعلى درجات السّلم لأنّها سبيل الاتباع، وهذا الأخير مفتاح محبّة الله للعبد، لقوله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتّبعوني يحببكم الله﴾ (آل عمران،31).

فلا مطمع لأحد في الحظوة بمحبّته –عز وجل– دون رسوله –عليه الصلاة والسلام–، وفي ذلك يقول الشيخ أحمد التجاني: "... فليس الشّأن أن تحبّ الله بل الشّأن أن يحبّك الله، ولا يحبّك إلّا إذا اتّبعت حبيبه ظاهرا وباطنا، وصدّقته خبرا، وأطعته أمرا، وأجبته دعوة وآثرته طوعا... وتأمّل قوله تعالى: ﴿فاتّبعوني يحببكم الله﴾ فاتّباع هذا النّبي الكريم حياة القلوب ونور البصائر وشفاء الصّدور ورياحين النّفوس ولذّة الأرواح وأنس المستوحشين ودليل المتحيّرين"[2].

إنّ هذا المنطق التّصعيدي للحجج والانتقال من مسلّمة إلى أخرى يقود المتلقي إلى التّسليم والإذعان للنّتيجة، والتي تتجلّى في المحافظة على أبنائنا من التيارات الغربية الهدامة، والتي تدفع المتلقي إلى تبنيها رغبة منه في صلاح أبنائه، فيحتفل بمولده حبّا وسبيلا إلى الاتباع والاقتداء.

وعليه فالشيخ محمد العيد التجاني يهدف إلى إقناع المتلقي باتباع النبي صلى الله عليه وسلم ودفعه للقيام بذلك حتى يحصّن نفسه وأبناءه من تيارات الشر التي تهب على الأمة الإسلامية من كل الأنحاء، فرسول الله صلى الله عليه وسلم هو الملاذ الآمن الذي بحبّه وباتباعه ننجو من كل هذه المشكلات والملمات.

وفي خطاب آخر يقول الشيخ: "... **والطّريقة التجانية أَوْفَت هذا الجانب حقّه من الرّعاية التي تنمّ عن كمال في الذّوق وسموّ في الشّعور حيث قامت منذ الانطلاقة بترتيب المريدين ترتيبا متّسقا يقتضي**

[1] المرجع السابق، ص97.

[2] الحاج علي حرازم، الجواهر، ج2، ص 718.

الاعتدال والتوازن وأطلقت عليهم تسمية – الأحباب– فالمحبّة رباط القلوب وصفاء النّفوس وتحقيق الغايات النّبيلة وتوحيد الأهداف من أجل علوّ الرّاية والتّحلّي بالفضائل الإنسانيّة طاعة لله تعالى ورسوله المجتبى صلى الله عليه وسلم"[1].

ويمكن تمثيل السلم الحجاجي كالآتي:

علوّ الراية والتحلي بالفضائل الإنسانية..... ن

الحجج

- بالمحبة نوحد الهدف
- بالمحبة نحقق الغاية
- المحبة صفاء النفوس
- المحبة رباط القلوب

يورد الشيخ محمد العيد التجاني في هذا الخطاب حججا متساندة تتشارك في المعنى لتخدم نتيجة واحدة، "فعندما ينتمي معنى جملتين أو أكثر إلى الحقل الاستدلالي الحجاجي نفسه يعني ذلك أنّهما يسعيان إلى نتيجة واحدة"[2]. فالحجج المدرجة في السلم الحجاجي تنطلق من لفظة واحدة؛ المحبة لتخدم النتيجة المبتغاة؛ التحلي بالفضائل والأخلاق المحمدية.

فالشيخ في خطابه يسند الحجة تلو الأخرى من أجل إقناع المتلقي ودفعه للاتصاف بالمحبة، لأنها أساس علاج القلوب، والتي تتحول –المحبة القلبية– إلى قيم ذات ثلاثة اتجاهات؛ اتجاه نفسي روحي مع الله: يتجلى في قيم الصدق والإخلاص والتوكل والرضا... واتجاه نفسي ذاتي: يتجلى في قيم الأمانة والنزاهة والقناعة والطمأنينة والسكينة والإتقان... واتجاه نفسي اجتماعي: يظهر من خلال مشاعر الحب تجاه الآخر، فينعكس قيما سامية وأخلاقا فاضلة وسلوكا حسنا في التعامل معهم، ويتجلى ذلك في العفو والتسامح والتعاون والتضامن والتواضع والاحترام والتقدير والتوقير، والقبول مهما كانت درجة الاختلاف...

فالمحبة تمحو آثار الأنانية العالقة بنفس المحبّ، وتجلو مرآة روحه من كل ما يعكّر صفاؤها ولمعانها ونورانيتها، لتغدو قابلة لكل خير وخيرية باطنا فتنعكس ظاهرا سلوكا سويّا وسطيّا، لقوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا﴾ (البقرة،143).

فالشيخ يهدف إلى إقناع المتلقي في كل زمان ومكان بتزكية النّفس وتهذيبها وذلك باتّصافها بمكارم الأخلاق؛ الرّحمة والتّوبة والخشية والخوف والإخلاص والمحبّة... في خطوة أولى إلى بناء الجانب

[1] أمينة تجاني، الخطاب الصوفي التجديدي، ص313.

[2] رضوان الرقبي، الاستدلال الحجاجي التداولي، ص97.

الرّوحي للعبد باعتبار أنّ الرّوح الإنسانيّة هي المحطّة الأولى والأساسيّة في مسار التّزكية والارتقاء، لقوله تعالى: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ (الجمعة،02).

ومن ثمّة دفعه إلى تفعيلها في البناء الاجتماعي بجميع أنظمته الاقتصاديّة والسّياسيّة والثّقافيّة، حتى يخلق "فردا فعّالا وإيجابيّا يتميّز سلوكه بالصّبغة الأخلاقيّة المحمودة والمطلوبة اجتماعيّا"[1].

وفي خطاب آخر يقول الشيخ: "**إنّنا ننتمي إلى مدرسة عظيمة، تطلب من مُريديها أن يكونوا في القمّة، ويتطلّعوا إلى العلياء، ولا يكون ذلك إلا بأساس متين قوامه العلم، وأَصْلُ هذا الأخير ولُبُّهُ القرآن الكريم والسّنّة النّبويّة المطهّرة، أدّبوا النّاشئة وربّوهم على ذلك، فهذه أولى الخطوات في درب النّجاح، وعلى الجميع الاجتهاد في طلب العلم وتحصيله، لأنّه النّور الذي يفتح الله به البصائر فَتَستَنيرُ، وتُنيرُ ما حولها، كما نطلب من شبابنا أن يشمّروا عن سواعد الجدّ، وأن يكونوا في مستوى التّطلّعات، لأنّهم العُمْدَة في الرّقيّ والتّطوّر، وبهم تتحقّق النّهضة التي ننشدها**"[2].

النجاح وبلوغ القمة والعليا..... ن

الحجج
- حفظ القرآن الكريم
- تدارس السنة النبوية المطهرة
- طلب العلم

يسلك الحجاج في هذا الخطاب مسلكا تدريجيّا مبنيّا على الأقوال، حيث نجد الحجّة التي تعلو سابقتها أقوى منها وهكذا دواليك، وذلك لإقناع المتلقي أكثر في كل مرّة ولزيادة إذعانه وتسليمه درجة، درجة إلى غاية الوصول إلى النّتيجة المبتغاة، وتحويلها إلى فعل. وهذا هو صلب فعل الحجاج؛ "تدافع الحجج وترتيبها بحسب قوّتها، إذ لا يثبت، غالبا، إلا الحجّة التي تفرض ذاتها على أنّها أقوى الحجج في السّياق. ولذلك ينشد المخاطِب الحجج التي يرى أنّها تتمتّع بالقوّة اللازمة التي تدعم دعواه"[3].

وفي هذا الخطاب تتتابع الحجج في شكل تصاعدي؛ طلب العلم، تدارس السنة المطهرة، حفظ القرآن، هذه الأخيرة التي تمثل الحجة الأقوى والتي عليها الارتكاز، لأن القرآن الكريم منبع العلوم كما يقول

---

[1] معتوق جمال وأوسرير محمد، الصحة الإيمانية والوقاية من السلوك الانحرافي (التربية الصوفية نموذجا)، دفاتر مخبر المسألة التربوية في الجزائر في ظل التحديات الراهنة، ص151.

[2] أمينة تجاني، الخطاب الصوفي التجديدي، ص327.

[3] عبد الله صولة، آليات الحجاج وأدواته، ص241.

السيوطي: "لهو مفجر العلوم ومنبعها ودارة شمسها ومطلعها، وأودع فيه سبحانه وتعالى علم كل شيء وأبان فيه كل هدى وغيّ، فترى كل ذي فهم منه يستمد وعليه يعتمد فالفقيه يستنبط منه الأحكام، ويستخرج حكم الحلال والحرام، والنحوي يبني منه قواعد إعرابه ويرجع إليه في معرفة خطأ القول من صوابه، والبياني يهتدي به إلى حسن النظام ويعتبر مسالك البلاغة في صوغ الكلام، وفيه من القصص والأخبار ما يذكر منها أولو الأبصار، ومن المواعظ والأمثال ما يزدجر به أولو الفكر والاعتبار، إلى غير ذلك من علوم لا يقدر قدرها إلا من حصرها"[1]. وكما يقول الشاعر:

جميع العلم في القرآن ولكن تقاصر عنه أفهام الرجال

تتسلسل أقوال الشيخ محمد العيد التجاني وتتتابع بشكل تدريجي من الأضعف إلى الأقوى في ترتيب حجاجي بغية إقناع المتلقي بالقصد المراد؛ حفظ القرآن الكريم، وذلك خدمة للنتيجة المبتغاة؛ النجاح وبلوغ القمة.

ويقول في خطاب آخر: "**إنّ نهضة الأمم تُبْنَى بالفكر المستنير والوعي الذي يَسْري في نفوس أفرادها، فينطلق شُعْلَة حيويّة تُضيءُ ما حولها، فيعمّ النّور الأرجاء، ويستشعر النّاس قيمة العقل وأثره في تغيير حياتهم نحو الأفضل، إنّ زوايانا وهي تنشر ثقافة الوعي، تأخذ مكانتها الأصيلة في المجتمع**"[2].

نهضة الأمم..... ن

الحجج

- تغيير الحياة نحو الأفضل
- انطلاق شعلة النور والتغيير
- الوعي الساري في النفوس
- الفكر المستنير في العقول

إنّ الخطاب عبارة عن متوالية من الأقوال والجمل، أو – بتعبير حجاجي – مجموعة من الحجج والنّتائج التي تقوم بينها أنماط مختلفة من العلائق، فالحجّة تستدعي الحجّة المؤيّدة أو المضادّة، والدّليل يفضي إلى النّتيجة، والنّتيجة تفضي إلى دليل آخر، وكل قول يرتبط بالقول الذي يسبقه ويوجّه القول الذي يليه، وبعبارة أخرى فإنّ الأقوال والجمل تقوم بينها علاقات منطقيّة ودلاليّة مثل علاقات الشّرط والسّببيّة

[1] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص03.

[2] أمينة تجاني، الخطاب الصوفي التجديدي، ص331.

والاستلزام والاستنتاج والتّعارض (وبتعبيرنا نحن علائق حجاجيّة استدلاليّة)"[1] تؤدّي إلى إقناع المخاطَب والتّأثير فيه ومن ثمّة تغييره حسب مراد المتكلم.

في هذا الخطاب نجد أنّ الأقوال تتسلسل وتترابط بشكل بديع؛ فالحجّة الأولى استدعت النّتيجة الأولى وهي مصرّح بها، والتي بدورها تحوّلت إلى حجّة استدعت نتيجة ثانية، والتي بدورها استدعت ثالثة، وهكذا. ولتوضيح الأمر أكثر سوف نمثّل لهذا السّلّم الحجاجي كالآتي:

العقل المستنير بالعلم **(ح)** ⟵ الوعي الساري في النفوس **(ن1)**

الوعي الساري في النفوس **(ح)** ⟵ انطلاق شعلة النور والتغيير **(ن2)**

انطلاق شعلة النور والتغيير **(ح)** ⟵ تغيير الحياة إلى الأفضل **(ن3)**

أراد الشيخ محمد العيد التجاني من خلال هذا السلم الحجاجي أن يقنع المتلقي بمراده وقصده؛ العلم، لكونه السبيل الوحيد للنتيجة المبتغاة؛ النهضة الشاملة. وبذلك كان يسعى إلى تغيير فكر المتلقي ومن ثمّة سلوكه الفردي والجماعي، فيصبح العلم مطلبا أساسيا للمسلم من أجل تحقيق النهضة ومواصلة رسالة الحبيب المصطفى؛ نشر الإسلام في كل ربوع العالم، وليس هدفا من أجل الشهادة والحصول على منصب عمل.

الخلاصة:

في نهاية هذه الدراسة توصلنا إلى مجموعة من النتائج، أهمها:

– إن الحجاج هو تقديم الحجج والأدلة والبراهين من أجل إثبات فكرة ما أو دحضها، كما أنه ترتيب الحجج بطريقة منطقية تسهم في إقناع المتلقي وإذعان الخصم.

– يمثل السلم الحجاجي علاقة ترتيبيّة للحجج، بمعنى ترتيب أجزاء القول بشكل منطقي يسهم في إقناع المتلقي.

– إنّ السّلالم الحجاجيّة في خطابات الشيخ محمد العيد التجاني التماسيني تكشف عن سعي الشيخ إلى إقناع المتلقي والتّأثير فيه.

– سلك الشيخ محمد العيد التجاني في كل خطاب من خطاباته مسلكا حجاجيّا مبنيّا على الأقوال، لإقناع المتلقي في كل مرّة بالنّتيجة المبتغاة، ودفعه إلى تحويلها إلى فعل، وهذا هو صلب فعل الحجاج؛ الإقناع الفكري ومن ثَمّ التّأثير العملي.

---

[1] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص18 ،19.

إنّ لغة خطابات الشيخ محمد العيد التجاني حجاجيّة؛ إذ تجلّت في أقوالها المتسلسلة داخل الخطاب، إذ رتّب الشيخ حججه بحسب قوّتها، فجعل الحجّة الأقوى في أعلى السّلم حتى تحقّق الإقناع، وذلك لما تتمتّع به من قوّة تدعم دعواه وما يرمي إليه.

إنّ السّلالم الحجاجيّة في خطابات الشيخ رصدت لنا القول الحجّة والقول النّتيجة، وبالتالي كشفت لنا عن الهدف المنشود من كل خطاب، وسبل الإقناع التي مارسها الشيخ لتحقيق التّأثير والتّغيير.

قائمة المصادر والمراجع:

الكتب العربية:

1- أمينة تجاني، الخطاب الصوفي التجديدي عند الشيخ محمد العيد التجاني التماسيني، دار المجدد، سطيف، ط1، 2023.

2- أندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفيّة، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط2، 2001، المجلد1، A- G.

3- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج.

4- جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، دط، 1994، ج1.

5- ابن خلدون، المقدمة، تح: محمد عبد الله درويش، دار البالخي، دمشق، ط1، 2004.

6- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2009.

7- خليفة الميساوي، الوصائل الحجاجية في المقاربات اللسانية الغربية، كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته.

8- الرازي، مختار الصحاح، عني بترتيبه: محمود خاطر بك، دار الفكر، بيروت، طبعة 1981.

9- السيوطي، الإتقان في علوم القرآن.

10- شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود، كلية الآداب، منوبة، تونس، دط، دت.

11- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان.

12- عبد الجبار أبو بكر، الحجاج الفلسفي وإشكالية المشترك اللفظي، ضمن كتاب الحجاج.

13- عبد الله صولة، آليات الحجاج وأدواته.

14- الحاج علي حرازم، الجواهر.

15- ابن منظور، لسان العرب.

16- كمال عز الدين، الحديث النبوي من الوجهة البلاغية.

المجلات والدوريات:

17- رضوان الرقبي، الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، مجلة عالم الفكر، ع2، م40، أكتوبر، ديسمبر، 2011.

18- معتوق جمال وأوسرير محمد، الصحة الإيمانية والوقاية من السلوك الانحرافي (التربية الصوفية نموذجا)، دفاتر مخبر المسألة التربوية في الجزائر في ظل التحديات الراهنة.

الكتب الأجنبية:

19 - O Ducrot, Dire et ne pas dire, Hermann, Paris, 1980.

20 - O Ducrot, Les échelles argumentatives, Minuit, Paris, 1980